

عتبات النص الأدبي: مقاربة سيميائية

بخولة بن الدين / الجزائر

Thresholds of Literary Text: A Semiotic Approach

Bakhawla bin Aldin

Bendine bekhaoula nouveau lycee n2 sougueur wilaya tiaret algerie

Email: trezel@live.fr

Received: 12 Nov 2012; Revised :9 Jan- 20 Feb 2013; Accepted: 23 Feb 2013

Published online: 1 May 2013

Abstract: The title of any text is one of the most important parallel thresholds. It helps clarify, investigate, construct, and deconstruct explicit and implicit meanings of the text. The title hence is a paramount key to comprehend the text and its cohesion. Using a semiotic perspective, this study considers titles as signs, symbols, icons, and metaphors. They are analyzed and interpreted in terms of structure, signification, and function. What is the importance of the title? What is the relationship between the text and its parallel texts? What are the most important Arabic studies that have dealt with the issue? What are the title's parts and functions? What are the semiotic dynamics that are used in approaching the title? The title is the first threshold on which the reader should ponder before dealing with any text. Moreover, it is the most provoking and challenging element for any writer so that she/he pays a great deal of attention to articulate it attractively. Before reading a book, topic, poem, story, novel, we all interestingly repeat the Arabic proverb, "the written is clear throughout its title"; the title points out unequivocally the content of the text.

Keywords: Semiotics, literary criticism, literary genres.

عتبات النص الأدبي

مقاربة سيميائية

بخولة بن الدين / الجزائر

النص، والتعمق في شعابه التائهة، والسفر في دهاليزه الممتدة. كما أنه الأداة التي بها يتحقق انساق النص وانسجامه وبها تبرز مقروئية النص، وتتكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة. وبالتالي، فالنص هو العنوان، والعنوان هو النص، وبينهما علاقات جدلية وانعكاسية، أو علاقات تعيينية أو إيحائية، أو علاقات كلية أو جزئية... هذا ولا يمكن مقارنة العنوان مقارنة علمية موضوعية إلا بتمثل المقاربة السيميوطيقية التي تتعامل مع العناوين، وذلك بوصفه علامات، وإشارات، ورموزًا، أو أيقونات واستعارات. ومن ثم، فلا بد من دراسة هذه العناوين تحليلًا وتأويلًا، وذلك من خلال ثلاثة مستويات منهجية سيميوطيقية، ويمكن حصرها في: البنية، والدلالة، والوظيفة.

وفي هذه الحال، ماهي أهمية العنوان؟ وما علاقة العنوان بالنص الموازي؟ وماهي أهم الكتابات الغربية والعربية في مجال العنونة؟ وماهي أقسام العنوان ووظائفه؟ وماهي مجمل الآليات السيميوطيقية لمقاربة العنوان؟ والعنوان هو

لكل بناء مدخل، ولكل مدخل عتبة، ولكل عتبة هيئة، ولأن العتبات همسات البداية.. لقد اهتمت السيميائية الحديثة بدراسة الإطار الذي يحيط بالنص كالعنوان، والإهداء، والرسومات التوضيحية، وافتتاحيات الفصول وغير ذلك من النصوص التي أُطلق عليها (النصوص الموازية)، والتي تقوم عليها بنايات النص. ويأتي الدور المباشر لدراسة العتبات متمثلًا في نقل مركز التلقي من النص إلى النص الموازي، وهو الأمر الذي عدته الدراسات النقدية الحديثة مفتاحًا مهمًا في دراسة النصوص المغلقة؛ حيث تجترح تلك العتبات نصًا صادمًا للمتلقي، له وميض التعريف بما يمكن أن تنطوي عليه مجاهل النص¹. يعد العنوان من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص الرئيس، حيث يساهم في توضيح دلالات النص، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية إن فهما وإن تفسيرًا، وإن تفكيكًا، وإن تركيبًا. ومن ثم، فالعنوان هو المفتاح الضروري لسبر أغوار

¹ ينظر، عبدالرحمن منيف: الباب المفتوح، بيروت، دار الساقي، ص 22.

وقال ابن سيده الأندلسي (ت458هـ) في «مُخصَّص»: «العنوان والعنوان والعنوان سمة الكتاب»؛ أي علامته، والمدخل إلى رحابه، والعنصر البارز فيه. ويقول الناقد الغربي ميشال هاوسر: (M. Hausser) «قبل النص هناك العنوان، وبعد النص يبقى العنوان». إذاً، فهو المفتاح والمنتهى؛ المنطلق والمآب. ولعل هذا ما دفع، ويدفع - المؤلفين والمبدعين إلى التروي في اختيار عناوين نصوصهم، والاعتناء بها موقِعياً وتركيبياً وجمالياً ودلالياً وتجارياً. ثم إن العنوان، بوصفه أحد مؤازيات النص (Paratextes)، لا يستحق أن يكون كذلك إلا إذا توافر فيه ضابطان؛ أولهما مسؤولية المؤلف أو المبدع في اختياره، وثانيهما القصدية القابعة وراء ذلك الاختيار.

ولدراسة عنوان أي نص، يقترح د. محمد مفتاح مسكين اثنين؛ أحدهما ينطلق من العنوان / القمة لفهم المتن النصي / القاعدة، ويسميه «القِمَعَدَة»، والثاني ينطلق من النص المدروس لتعرُّف دلالة عنوانه وتفهمها، ويسميه «القَاعِمَة». ويبدو أن المسلك الثاني أكثر جدوى؛ لأن كثيراً من العنوانات لا تسعفنا على فهم النصوص، ولا تقرِّنا من مضمونها. بل إن العنوان عادةً ما يُنحو منحى الإيهام والتشويش والغموض. وفي هذا الصدد، يقول أمبيرطو إيكو (U. Eco) إن العنوان ينبغي أن يعمد إلى تشويش الأفكار لا إلى تسجيلها.

إن تشكيل العنوان في أي نص من النصوص لا يكون اعتباطياً، ولكنه يرتبط بمتن النص أيما ارتباط، بل إنه جزء لا يتجزأ من المتن. ولذلك فهو المهيع اللأحب إلى فك مجموعة من الرموز والمغالق. يقول محمد مفتاح إن العنوان «يمدنا بزادٍ ثمين لتفكيك النص ودراسته»².

* السيميائية أو السيمياء: علم يعنى بدراسة العلامات أو بنية الإشارات و علاقتها في الكون،

العتبة الرئيسية التي تفرض على المتلقي أن يتفحصها ويستنتجها قبل الولوج إلى أعماق أي نص، وهو العنصر الأكثر أهمية بالنسبة إلى الكاتب الذي يوليه الاهتمام الأكبر فيعطيه الكثير من مجهود الفكر والوقت ليختاره بشكل ينسجم مع النص ويجذب إليه الأنظار، وكثيراً ما نردد عبارة (المكتوب بائن من عنوانه) قبل البدء بقراءة كتاب أو موضوع "شعر، نثر، قصة رواية، مقال..." دلالة على وضوح فحوى الموضوع من خلال قراءة العنوان.

فما هي دلالة العنوان؟ وما مدى أهميته في الأدب بوجه عام؟ وما هي أنواع العناوين؟

وقبل مباشرة ذلك، يجدر بنا أن نشير إلى أن النقد الحديث قد أولى، منذ نشأة الشكلانية والبنوية خاصة، اهتماماً واضحاً لدراسة العنوان، إبراز شعريته، وكشف كيفية اشتغاله، والبحث عما يُثيره من تداعيات وتساؤلات؛ وذلك بالنظر إلى ما له - من حيث هو نص صغير - من وظائف إستراتيجية، وأخرى دلالية تعد مدخلاً هاماً إلى نص كبير كثيراً ما يشبهونه بجسد، رأسه العنوان.

وأما ما يثيره العنوان - بوصفه العتبة الأولى للنص - من إشكاليات وقضايا، ألقينا نقاداً كُثراً يختلفون به احتقالاتاً بالغا، بل إن بعضهم اتجه نحو التخصص فيه؛ الأمر الذي ترتب عنه ظهور علم جديد له أصوله ونظرياته ومناهجه وأعلامه؛ وهو «علم العناوين» أو «التيتولوجيا»

(Titrologie) الذي ظهر - أول الأمر - في الديار الغربية. ولعل أبرز من سبر أغوار هذا الخضم الناقد الفرنسي جيرار جينيت (G. Genette) الذي كرس كتابه «عتبات» (Seuils) لدراسة ما يسميه «المُتعاليات النصية» التي قسّمها إلى خمسة أنماط، هي: معمارية النص، والمناصصة (العنونة)، والتناص، والميتانص، والتعلق النصي). وهذه الأنماط تتداخل فيما بينها وتتقاطع، وتُمارس بطرائق عدة.

² محمد مفتاح: *دينامية النص*، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990، ص

* **العنوان:** يتشكل النص الإبداعي الحديث من معادلة لا بد منها، أولها العنوان وآخرها النص، وحقيق لمن كانت له الصدارة أن يدرس ويحلل وينظر من خلاله إلى النص، من منطلق أن العنوان حمولة مكثفة للمضامين الأساسية للنص.

وهو وجه النص مصغراً على صفحة الغلاف، لذا كان دائماً "يعد نظاماً سيميائياً ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث بتتبع دلالاته ومحاولة فك شفراته الرامزة"⁷ بغية استجلاء المفاهيم النصية المتراكمة داخل الحيز النصي.

لهذا لم يكن اهتمام السيميائين بالعنوان اعتباطياً ولا من قبيل الصدفة بل لكونه "ضرورة كتابية"⁸ جعلت منه مصطلحاً إجرائياً ناجحاً في مقارنة النص الأدبي، و"مفتاحاً أساسياً يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها"⁹، وكذا لكونه أولى عتبات النص التي لا يجوز تخطيها ولا تجاهلها إن أراد القارئ التماس العلمية في التحليل والدقة في التأويل، فلا شيء كالعنوان "يمدنا بزداد ثمين لتفكيك النص ودراسته، وهنا نقول إنه يقدم لنا معرفة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه.

فالعنوان إذن هو أولى عتبات القارئ التي يقيس دلالاتها على جميع مضامين النص، "فهو مفتاح الدلالة الكلية التي يستخدمها القارئ الناقد مصباحاً يضيء به المناطق المعتمنة"¹⁰ في النص والتي يستعصي فهمها إلا من خلال العودة إلى العنوان.

لقد أولت السيميوطيقا أهمية كبرى للعنوان وذلك بوصفه مصطلحاً إجرائياً ناجحاً في مقارنة

و"يدرس بالتالي توزيعها ووظائفها الداخلية والخارجية"³ وعلى هذا فهو يهتم بكل الإشارات الدالة "مهما كان نوعها وأصلها"⁴ من طقوس ورموز وعادات وإشارات حربية وكتابة ولغة.

والواقع أن ما يهمنا من كل هذه الإشارات الدالة هو العلامات اللسانية أو اللغوية على اعتبار اللغة "أهم هذه الأنظمة جميعاً"⁵ على حد تعبير "فرديناند دي سوسبير". وللسيميائين موضوعان تهتم بهما، أولهما "رئيس وينصب على دراسة الدلائل الاعتبائية، وثانيهما ثانوي وينكب على دراسة الدلائل الطبيعية"⁶.

وقد شاع هذا العلم في بداية الأمر بمصطلحين مختلفين هما: السيميولوجية *Semiotique* والسيميوطيقا *Semiotic*، ويبدو أن سبب هذا الاختلاف هو المصدر اللغوي لكل مصطلح، إذ الأول "سيميولوجيا" فرنسي ظهر مع "فرديناند دي سوسبير" والثاني "سيميوطيقا" إنجليزي ظهر مع "شارل سندرس بيرس" وكلاهما منقول عن الأصل اليوناني "Semeion" أي علامة.

وقد اختلف دي سوسبير وبيرس في تقسيمهما للعلامة، فالأول يرى أنها كيان ثنائي المبنى يتكون من جزئين (دال ومدلول)، والثاني يرى أنها ثلاثية الأبعاد (المصورة والمفسرة والموضوع).

وأما فيما يخص أنواع العلامات فإن دي سوسبير لم يخرج عن إطار العلامات الاعتبائية والطبيعية وفي بعض الأحيان يذكر الرمز، بخلاف بيرس الذي عدّ ستاً وستين نوعاً من العلامات، كان أكثرها شيوعاً في الدوائر السيميائية هذه الثلاثة: المؤشر والرمز والأيقونة.

⁷ محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط1، 1998، ص15.

⁸ جميل حدادوي، «السيميوطيقا والعنونة»، مجلة عالم الفكر، الكويت، ص96.

⁹ محمد مفتاح، دينامية النص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، بيروت/لبنان، ط2، 1990، ص72.

¹⁰ محمد مفتاح، دينامية النص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، بيروت/لبنان، ط2، 1990، ص72.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ Ferdinand De Saussure, *Cours de Linguistique Générale*, Paris, Payot, 1973, p. 33.

⁵ حنون مبارك، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص71.

⁶ بسام قطوس، سيميائيات العنوان، وزارة الثقافة، عمان / الأردن، ط1، 2001، ص12.

القرائية، وهو الذي يحقق للنص كذلك اتساقه وانسجامه وتشاكله، ويزيل عنه كل غموض وإبهام.

ومعظم وظائف العنوان تُدرك من خلال النص، فالنص إذن هو الذي يحدّد طبيعة هذه الوظيفة؛ لأنّ الباحث قد لا يدرك دور العنوان أو وظيفته في الشعر خاصة "إلاّ بعد إتمام قراءة القصيدة"¹¹، فمن خلال النصّ يمكن فهم محتوى رسالة العنوان.

على أنّ للعنوان وظيفة خاصة و هي أنّه - حسب إيكو- (Eco) "يشوش الأفكار لا أن يثبتها"¹²، من منظور أنّه يفاجئ المتلقي بكسر أفق التوقع لديه، فهو يفهم من العنوان شيئاً ما- وقد لا يفهم أيّ شيء - ثم يصطدم بالنص ليفهم رسالة العنوان.

وكما يسعى العنوان دائماً إلى توجيه "الانتباه إلى المكان الذي تتمركز فيه دلالية القصيدة التي يسمّها"¹³، فهو لذلك يحمل دلالة "تميزية إضافة إلى وظيفته الجمالية"¹⁴، وبإمكانه أيضاً أن ينقل المتلقي إلى عالم النص دون تطرّقه إلى محتوى الكتاب، فمن خلال العنوان يستطيع القارئ أن يستشّف نوع النصّ وتركيبته ومحتواه، حتى أنّ طه حسين وقع في نفسه عنوان رواية نجيب محفوظ "زقاق المدق" الموقع الحسن، فراه ينطبق تماماً على مضمون الرواية، مما جعله يقول: "ولكنك لا تكاد تسمعه وتنطق به حتى تتبين أنّك مقبل على كتاب يصوّر جواً شعبياً قاهراً خالصاً، فهذا العنوان يوشك أن يحدّد موضوع القصة و

النص الأدبي، ونظراً إلى كونه مفتاحاً أساسياً، يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة، وذلك بغية استنطاقها وتأويلها. وبالتالي، يستطيع العنوان أن يقوم بتفكيك النص من أجل تركيبه، وذلك عبر استنطاق بنياته الدلالية والرمزية، وأن يضيء لنا، في بداية الأمر، ما أشكل من النص وغمض. فالعنوان . إذاً . هي مفتاح تقني يجس به السيميولوجي نبض النص، ويقيس به تجاعيده، ويستكشف ترسباته البنيوية وتضاريسه التركيبية، وذلك على المستويين: الدلالي والرمزي.

لقد أظهر البحث السيميولوجي، بشكل من الأشكال، أهمية العنوان في دراسة النص الأدبي، وذلك نظراً إلى الوظائف الأساسية المرجعية والإفهامية والتناصية التي تربطه بالنص وبالقارئ، ولن نبالغ إذا قلنا: إن العنوان يعدّ مفتاحاً إجرائياً في التعامل مع النص في بعده: الدلالي والرمزي.

وهكذا، فإن أول عتبة يطوؤها الباحث السيميولوجي هي استنطاق العنوان واستقراؤه بصرياً ولسانياً، أفقياً وعمودياً. ولعل القارئ يدرك مقدار الأهمية التي يوليها الباحثون المعاصرون لدراسة العناوين، خاصة وأنه قد ظهرت بحوث ودراسات لسانية وسيميائية عديدة في الآونة الأخيرة، وذلك بغية دراسة العنوان، وتحليله من نواحيه التركيبية والدلالية والتداولية".

ولقد أحس جيرار جنيت (G.Genette) بصعوبة كبيرة، حينما أراد تعريف العنوان، نظراً إلى تركيبته المعقدة والعويصة عن التنظير، وفي هذا الإطار يقول جيرار جنيت: "ربما كان التعريف نفسه للعنوان يطرح أكثر من أي عنصر آخر للنص الموازي، بعض القضايا، ويتطلب مجهوداً في التحليل، ذلك أن الجهاز العنواني، كما نعرفه منذ النهضة (...). هو في الغالب مجموعة شبه مركبة، أكثر من كونها عنصراً حقيقياً، وذات تركيبية لا تمس بالضبط طولها".

وعلى أي حال، فالعنوان هو الذي يسم النص، ويعينه، ويصفه، ويثبته، ويؤكدده، ويعلن مشروعيته

¹¹ عبدالله محمد الغدامي، تشریح النص، مقاربات تشریحیة لنصوص شعرية معاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص110.

¹² Gérard Genette. *Seuils*, p. 95.

¹³ Michael Riffaterre, *Sémiotique de la poésie*, traduit de l'anglais par Jean Jacques Homos, Edition du Seuil, mars 1983, Paris, p. 130.

¹⁴ هذ سعدوني، قراءة سيميائية لقصيدة "مدنيّتي"، سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين لعبدالله حمادي، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومة، الجزائر، ط1، 2002، ص191.

وتسمى أيضاً وظيفة التسمية؛ لأنها تتكفل بتسمية العمل وبالتالي مباركته¹⁷ وهي أكثر الوظائف شيوعاً وانتشاراً، بل لا يكاد يخلو منها أي عنوان، فهذه الوظيفة تشترك فيها "الأسامي أجمع وتصبح بمقتضاها مجرد ملفوظات تفرق بين المؤلفات والأعمال الفنية"¹⁸ وهي تقترب من كونها اسماً على مسمى؛ لأنها في أصلها "تحديد لهوية النص وتبدو إلزامية، ولكن دون أن تنفصل عن الوظائف الأخرى"¹⁹، لذلك كانت أولى الوظائف وأشهرها.

ويستعمل بعض النقاد تسميات أخرى لهذه الوظيفة مثل "استدعائية (Appellative) عند جريفيل (Grevel) وتسمية (Denominative) عند ميتران (Mitterand) وتمييزية (Destinative) عند غلودينشتاين (Glodenstein) وبومارشيه وآل (Beaumarchais et al)، ومرجعية (Referencielle) عند كانتورويكس (Kantorowics)²⁰، فكل هذه التسميات، وإن اختلفت، تتجه إلى معنى واحد هو التعيين.

2- الوظيفة الوصفية:

(La Fonction descriptive)

وتسمى أيضاً الوظيفة اللغوية الوصفة (Metalinguistique) وهي وظيفة براجماتية محضة، إذ يسعى العنوان عبرها إلى تحقيق أكبر مردودية ممكنة، وهو ما يجعلها "المسؤولة عن الانتقادات الموجهة للعنوان، والصادرة عن عدد لا بأس به من المبدعين والمنظرين، الذين أبدوا دوماً انزعاجهم أمام التأثير الذي يمارسه العنوان عند

بيئتها¹⁵"، لقد انتبه طه حسين من خلال هذا الموضوع إلى أن للعنوان وظيفة ودوراً في تفعيل عملية القراءة من جهة، واختصار مضمون النص كاملاً من جهة أخرى.

إن اعتبار الباحثين العنوان رسالة لغوية - بالمفهوم السيميائي - جعلهم يعاملونه معاملة النص الكامل، فتجري عليه وظائف جاكبسون (Jakobson) كما تجرى على أشكال الخطاب الأخرى، وذلك لأن "البناء اللغوي للعنوان في شتى أشكال الخطاب الأدبي يؤدي وظائف فنية تتجاوز دائرة الوظائف البراجماتية ممثلة في لفت الانتباه والإخبار والإعلام"¹⁶. غير أن العنوان قد أثبت مع تطور النقد أن له وظائف أخرى، قد تكون جديدة عن الوظائف التي حددها جاكبسون (Jakobson)، ولكنها لا تخرج عنها في معظمها، ما عدا وظيفتي التعيين (Désignation)، والإغراء (Séduction)، فإن العنوان حقق سبق فيهما دون النص، بحكم مواجهته المباشرة مع المتلقي أولاً، ثم سيادته على النص من منطلق المهمة التي أنيطت به، ألا وهي مهمة التعريف بالنص.

لقد حدّد جيرار جنيت (Gérard Genette) في كتابه عتبات (Seuils) أربع وظائف للعنوان تميزه عن باقي أشكال الخطاب الأخرى، وقد تضاف إليها بعض الوظائف التي لم يذكرها جنيت (Genette) وهذه الوظائف هي:

1- الوظيفة التعيينية:

(La Fonction de designation)

¹⁷ J. B Camprubi, *Les Fonctions du Titre*, p. 8.

¹⁸ بسام قطوس، سيميائية العنوان، ص 50.

¹⁹ Gérard Genette. *Seuils*, p. 83.

²⁰ J. B Camprubi, *Les Fonctions du Titre*, p. 9.

¹⁵ عثمان بدري، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ، دراسة تطبيقية، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، 2000، ص 29.

¹⁶ J. B Camprubi, *Les Fonctions du Titre*, p. 8.

المؤلف على الإيحاء والتلميح من خلال تراكيب لغوية بسيطة.

تلقي النص بفعل خاصيته التثقيفية الموجهة إلى القارئ²¹.

(4) - الوظيفة الإغرائية:

(La Fonction deductive)

وتسمى الوظيفة الإغرائية، وهي ذات طبيعة استهلاكية وذلك لأن " قضية الكتاب المطبوع قد تطورت إلى شكل من الاقتصاد الاستهلاكي، فلنستطيع إنتاج هذه الأشياء وجب علينا اعتبارها مواد استهلاكية شبيهة بالمواد الغذائية ، ومن هذا الجانب انطلق هنري فوري (Henri Fournier) في حديثه عن صعوبة تسمية النص ذي المهمة المزوجة التي على كل عنوان أن يؤديها، فيقول في مقال له حول الكتابة الخطية: " إن عنوان مؤلف ما، هو الذي يمنح القارئ الفكرة الأولى عنه، وهذا الاحساس الأول على قدر ما يكون جذاباً (مغرياً) أو مبهرًا للذهن والعينين، يترك فيه أثراً لمدة قد تطول أو تقصر، على المؤلف والطابع أن يوحد الجهود لأحداث توقع مقبول، أحدهما عن طريق التبسيط والاختزال عند وضعه للعنوان. عليه أن يعطي فكرة تامة قدر الإمكان عن محتوى المؤلف، مصرا مع ذلك على إثارة فضول القارئ الآخر عن طريق التأليف المدهش للحروف و المهارة في وضع الأسطر، عليه أن يوفر لعين القارئ نظرة منتظمة بلا رتابة... يكتسب شكل هذه الصفحة دوماً أهمية كبرى عن طريق التأثير الذي يمارسه على جمهور القراء... والذين لا يبتاعون الكتب إلا لكي يشبعوا نهم أعينهم، أو الذين يخضعون لإغراء العنوان"²⁶.

أهمية العنوان الشعري في دراسة النص:

يشغل مكون العنوان في الأدب العربي، بوصفه مرشداً دالاً إلى النص الفكري والنقدي .. (الخ) الذي يتصدره، ولكنه مع ذلك أهمل في مجال

غير أن لهذه الوظيفة جانباً إيجابياً وهو حرية المرسل في أن يجعلها "مختلطة أو مبهمه حسب اختياره للعلامات الحاملة لهذه الوصفية الجزئية المختارة دائماً، وحسب ما يقوم به المرسل إليه من تأويل يبدو غالباً افتراضاً حول حوافز المرسل."²²

ولهذه الوظيفة مسميات أخرى نذكر منها: "لفظية (Enonciative) عند بوخيزة (Bokobza)، ودلالية (Semantique) عند كونترروويكز (Kontorowicz)، وتلخيصية (Abreivative) عند غولدنشتاين (Golderstein) يسميها جنيت (Genette) وصفية (Dexriptive)²³، حيث يؤكد على أنها وظيفة مهمة جداً في العملية التواصلية، ولا يمكن الاستغناء عنها"²⁴، نظراً إلى أنها كالوظيفة التعيينية موجودة بالقوة.

(3) - الوظيفة الدلالية الضمنية المصاحبة:

(La Fonction Connotative attachée)

تأتي الوظيفة الدلالية مصاحبة للوظيفة الوصفية و تحمل بعضاً من توجهات المؤلف في نصه، يقول جنيت (Genette) عن هذه الوظيفة إنه "لا مناص منها لأن العنوان مثله مثل أي ملفوظ بعامة له طريقته في الوجود، أو إن شئنا أسلوبه، حتى الأقل بساطة، فإن الدلالة الضمنية فيه تكون أيضاً بسيطة أو زهيدة، ولما كان من المبالغة أن نسمي وظيفة دلالية ضمنية هي غير مقصودة من المؤلف دائماً فلا شك أن الأجر عندئذ أن نتحدث عن قيمة ضمنية أو مصاحبة"²⁵، كما أنها تعتمد على مدى قدرة

²¹ ibid, p. 09.

²² Gérard Genette, *Seuils*, p. 85.

²³ J. B. Camprubi, *Les Fonctions du Titre*, p. 13.

²⁴ Gérard Genette, *Seuils*, p. 85.

²⁵ ibid, p. 89.

²⁶ ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد انطونينوس، منشورات عويدات، بيروت/باريس، ط3، 1986، ص 112.

²⁷ J. B. Camprubi, *Les Fonctions du Titre*, p. 20.

إن الشعر الحديث جعل من العنوان نصاً ثانياً موازياً للقصيدة، فأصبح بالإمكان الحديث عن شعرية العناوين كما كنا نتحدث عن شعرية القصيدة³⁴، وبالتالي «يمكن قراءة تلك العناوين مفردة بوصفها نصوصاً، أو قراءتها بوصفها جملة متمفصلة عبر عدة أعمال، أو جملة متمفصلة عبر عدة نصوص في العمل الواحد³⁵». وبذلك نستطيع دراسة الأسس الجمالية التي يحتويها العنوان، لدوره في فهم معنى النص؛ فهو المفتاح الذي نلج به إلى النص، وهو العنصر الذي يجذبنا إليه ويخلق فينا حرارة وشوقاً نحو القصيدة.

ولكن، ما الذي جعل من العنوان مرتكزاً أساسياً نسعى إلى دراسته؟ وهل جاء هذا التقدير كله من خلال كون العناوين تتطلبه لذاتها وفي ذاتها، أم لأننا نحب أن نجعل منه مكوناً نستطيع به استنباط الرسالة التي يود الشاعر إيداعها في أعماقنا ودواخلنا؟ هل الجمالية التي يكتسبها هذا العنصر نابعة من كونه يتألف من عناصر فنية وجمالية تتجلى في نصيته، أم أنها نابعة من الشكل الذي يأتيها به العنوان الشعري الجديد؟

ولعل عتبة العنوان، عتبة تتطوي بناهياً على قدر كبير من الحرية والانفتاح والصلابة فهي لا يمكن أن تلتزم بصيغ ثابتة في كل مستوى من مستوياتها؛ لأنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمتن النصي في أعلى درجات تطوره وتقلته من القواعد والضوابط، لذا فإن العنونة غالباً ما تأخذ حريتها في التكون على وفق اجتهادات الكاتب بالنظر إلى فضاء المتن النصي وموحياته ومقولاته، وهي تضيف إلى المتن النصي ولا تأخذ منه.

ومن ثم، ليست العنونة . على أساس هذه الرؤية . «مرتبطة كما في التصور التقليدي باختزال النص، بل يمكن أن تكون العلاقة بين العنوان ونصه تقابلية، أو انزياحية، أو لا تكون

الشعر وترك مكانه لهيمنة مكونات أخرى أدت دوراً هاماً في التواصل مع المتلقي ونخص بالذكر المطالع التي كانت معياراً من معايير الحكم على جودة الشعر بالإضافة إلى الجمل التي تسبق القصائد الشعرية كصيغ تقديمية²⁸.

لقد كان العنوان في هذه المرحلة مجرد عتبة يتعدى بها إلى غيره²⁹، فهو يؤدي دور تحديد نوعية المادة وموضوعها، فبين لنا أن هذا الكتاب - مثلاً - يوازي بين المتنبي وخصومه³⁰، وذلك يقدم تعريفات للشعر ويحاول وضع ميزان وعتار في طرق نظمه³¹.

ومع ظهور الشعر الحديث، عني بالعنونة سواء فيما يتعلق بالجانب الإبداعي لدى الشعراء، أو من خلال الدراسات السميولوجية التي تناولت العنوان بوصفه علامة دالة تسم النص وتبرز مجموع الدلالات المركزية فيه³². وهكذا أصبحنا أمام عناوين تحتاج ذاتها إلى التحليل والتناول النقدي.

وقد ذهب الدكتور جميل حمدوي في أثناء حديثه عن النص الموازي لدى جبرار جينيت، إلى اعتبار العنوان مظهراً وقسماً من أقسام النصية يعتبر بمفرده جنساً أدبياً مستقلاً كالنقد والتقديم... الخ، ويعني هذا أن له مبادئه التكوينية ومميزاته التجنيسية³³. فالعنوان في الشعر الحديث صار مكوناً قائم الذات، ومنسجماً، يحقق مجموعة من الأهداف والوظائف سواء تعلق الأمر بما بينه وبين خطاب النص، أو بالتأثير الذي يحدثه في نفس المتلقي الذي يحاول فك شفراته وإعطاءه دلالات، سعياً إلى فهمه واستيعابه.

28. د. رشيد يحيوي الشعر العربي الحديث: دراسة في المنجز النصي، ص 108.

29. نفسه، ص 110.

30. نقصد هنا كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني.

31. عيار الشعر، لابن طباطبا العلوي.

32. د. رشيد يحيوي مرجع مذكور، ص 110.

33. د. رشيد يحيوي الشعر والنثر: مدخل لأنواع الشعر، ص 191.

34. جميل حمدوي، مرجع مذكور، ص 99.

35. نفسه، ص 96.

ملاً إشعاع ضوءه كل جنباتها مبدداً فيها جوانب معتمة.

والعلاقة بين العتبات والنص / العمل الأدبي؛ علاقة جدلية مرجعية، لا تتخذ شكلاً مستقيماً، له نقطة بداية ونهاية، فالعنوان مثلاً بوصفه عتبة بداية، " وباعتباره مظهراً من مظاهر العتبات؛ ذو طبيعة مرجعية؛ لأنه يحيل إلى النص، كما أن النص يحيل إليه"⁴⁰، وكذلك كل عتبات النص التالية: كالعناوين الجانبية، والمطلع، والحافة به: كتواريخ النشر، وما كُتِبَ حوله من دراسات؛ إذ إن (النصوص الموازية) تقوم عليها بنيات النص، ويأتي الدور المباشر لدراسة العتبات متمثلاً في نقل مركز التلقي من النص الموازي، وهو الأمر الذي عدته الدراسات النقدية الحديثة مفتاحاً مهماً في دراسة النصوص المغلقة، حيث تجرّح تلك العتبات نصاً صادماً للمتلقي، له وميض التعريف، بما يمكن أن تنطوي عليه مجاهل النص"⁴¹.

ولكل ما تقدم؛ نستطيع القول: إن العتبات ظلّت كنزاً من كنوز النقد الأدبي من عدّة زوايا: كالتلقي، وتحليل الخطاب، والتعالّي النصّي، كما أنها سنتلّ -أبدأ- دوالاً سيميولوجية فاعلة في النصوص التي تحقّقها. فإذا كان النص / العمل بؤرة من بؤر التأويل والقراءة التحليلية - بوصفه بنية متكاملة، ومبنية من بنيات مُعينة قابلة للتفكيك لإعادة البناء-؛ فإن العتبات وفق كل هذا لم تعد أشياء مهمّشة كالسابق؛ لا يُلْتَقَت إليها. لذلك " جاءت التفكيكية لتعيد الاعتبار للهامش، الذي ظلّ لا مُفكراً فيه، بل مسكوتاً عنه، لِتُبيّن أن أهمية الهامش لا تقل عن أهمية المركز، بل إن الهامش يلعب أحياناً دوراً حاسماً في إحداث تغييرات دراماتيكية في بنيات المركز ومؤسّساته"⁴². بل قد تصبح هي الكاشفة في

بالضرورة ائتلافية"³⁶؛ إذ إن العلاقة بين عتبة العنوان ومكونات المتن النصي هي علاقة تضافرية توليدية لا يمكن ضبطها على وفق سياقات ممنهجة، لأنها إنما تخضع لحالة شعورية، وذهنية، وبنائية، وتشكيلية، تأخذ لدى المبدع صيغاً متنوعة يجب أن تُقارب دائماً من خلال مجمل المكونات البنائية للنص.

ولاشك في أن هذه المرونة التركيبية التي تحظى بها عتبة العنوان ترتبط ارتباطاً مهماً بالبنية الدلالية السيميائية التي يتأسس النص وفق مقتضياتها، حيث «إن حرية الاختيار والتركيب في الصياغة العنوانية مفيدة من الناحية الدلالية بدلالة النص العامة»³⁷؛ لأنها تستجيب على نحو ما للإرادة النصية في صياغة فضاء معين، وإنتاج إيقاع معين، يرسم عموماً السياسة النصية للخطاب الإبداعي.

غير أن العتبات في إطار مصطلح (النص الموازي)³⁸؛ لا ينفي ذلك، كونها نصوصاً موازية؛ تحفّ - كالروح - جسد النصّ، حائمة حوله، تمنحه حيواتٍ متجددة. وإذا كان معجب العدوانى قد شبهها " بعتبة البيت التي تربط الداخل بالخارج، وتوطأ عند الدخول؛ المكان الذي لا غنى عنه للداخل إلى المنزل، في حين لا يمكن لذلك الداخل أن يبطأ كل جوانبه حتى يثبت دخوله فيه"³⁹؛ فإنني يمكن أن أشبهها بالمصباح المعلق في الغرفة، موازياً - على نحو من الأنحاء - لكل جنباتها، بحيث لا تكون له قيمة في ذاته إلا إذا

³⁶ توفيق فريدة، كيف أشرح النص الأدبي، دار قرطاج للنشر، تونس، 2000، ص 97.

³⁷ حسين الواد، في مناهج الدراسات الأدبية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1984، ص 108.

³⁸ انظر تفاصيل هذا الموضوع في:

- نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة دار توبقال للنشر، 2007.

- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث: بنيته وإبدالاتها، التقليدية دار توبقال، 1990، الرومنسية العربية، دار توبقال، 1990، الشعر المعاصر، دار توبقال، 1990، مسالة الحدائ، دار توبقال، 1991.

³⁹ معجب العدوانى، تشكيل المكان وظلال العتبات، النادي الأدبي الثقافي، جدّة، السعودية، ط1، 1423 هـ/نوفمبر 2002م، ص7.

⁴⁰ عتبات النص - مرجع سابق، ص21.

⁴¹ تشكيل المكان وظلال العتبات - مرجع سابق، ص 7.

⁴² أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة".

تتمثل بالتحديد، والثانية دلالية تتمثل بالتدليل على المحتوى، والثالثة اتصالية تتمثل بإغراء مجتمع القراءة.

على هذا الأساس يجب أن تتعامل القراءة مع العنوان بوصفه «مفتاحاً إجرائياً في التعامل مع النص في بعده الدلالي والرمزي»⁴⁵.

وهكذا، فالعنوان ليس عنصراً زائداً كما يعتقد الكثير من الباحثين والدارسين. وينطبق هذا الحكم أيضاً على كل العتبات المجاورة للنص، من إهداء، واستهلال، وتقديم، واقتباس، وفهرسة، وهوامش، وصور، وحيثيات النشر... فالنص الموازي هو عنصر ضروري في تشكيل الدلالة، وإثراء المعنى. ومن هنا، فمن الضروري دراسة العتبات، وتفكيك المصاحبات المناسية، واستكشاف الدوال الرمزية، وإيضاح الخارج، قصد إضاءة الداخل.

المراجع

المراجع العربية:

- ابن طباطبا، عيار الشعر.
- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة».
- بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان / الأردن، ط1، 2001.
- توفيق فريرة، كيف أشرح النص الأدبي، دار قرطاج للنشر، تونس، 2000.
- حسين الواد، في مناهج الدراسات الأدبية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

أحيان كثيرة عن المسكوت عنه في بنى النص التأويية في تلافيف جمالياته.

إن هذه المكانة التي حازها، وحظي بها، العنوان في النص الأدبي الحديث، من قبل الأدباء، أعيد إنتاجها في النقد الأدبي الحديث، حيث أصبح الاهتمام بالعنوان يشكل حيزاً هاماً في اعتبارات النقد الأدبي، فأصبحنا أمام تشكل "علم" يدرس العنوان، من خلال ظهور عدة أعمال نظرية تعمل على صياغة نظرية للعنوان، وتعمل على صياغة علاقاته بباقي مكونات النص الأخرى، وأصبحت عتبة العنوان بمعنى العتبات الأخرى ذات تأثير كبير في بناء شعرية النص، من خلال العلاقة الثرية متنوعة السبل والاتجاهات التي تحصل بين العتبة العنوانية وطبقات المتن النصي، استناداً إلى الوظيفة الدلالية والتشكيلية والصورية التي تنهض بها عتبة العنوان في هذا السياق، وتتعكس على البنية الدلالية العامة في النص عموماً.

إن المنظور التركيبي للاسم في ظل علاقته بالعنوان . بوصفه دالاً علامياً ظاهراً وباطناً في الوقت ذاته . يتحدد من خلال التوافقية التضافية العالية في الوظيفة التي يؤديها كل منهما، ف «العنوان للكتاب كالاسم للشئ يعرف به، ويفضله يتداول، يشار به إليه، ويدل به عليه»⁴³.

وحين تستقيم الحالة العنوانية وتستقر على رأس النص بوصفه (أي العنوان) اسمه الدال على شخصيته ومعالمه وسماته وعلاماته وكيونته ووجوده أيضاً، عندها يمكن النظر إليه بوصفه «مجموعة من العلامات اللسانية التي يمكن أن تدرج على رأس نص لتحده، وتدل على محتواه، وتعري الجمهور المقصود بالقراءة»⁴⁴ إذ تقوم هذه العلامات بثلاث وظائف قيمة، الأولى يقونية

⁴⁵ عبدالرحمن طنكول، «خطاب الكتابة وكتابة الخطاب»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد 9، 1987، ص 135.

⁴³ محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص 15.

⁴⁴ الهادي المطوي، «شعرية عنوان الساق على الساق فيما هو الفرياق»، مجلة عالم الفكر / مجلد 28، عدد 1، 1999، ص 456.

- محمّد بنيس، *الشعر العربي الحديث: بنيته وإبدالاتها: التقليدية*، دار توبقال، 1990، الرومنسية العربية.
- هند سعدوني، *قراءة سيميائية لقصيدة "مدينتي"*، سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين لعبدالله حمادي، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومة، الجزائر، ط1، 2002.
- حنون مبارك، *دروس في السيميائيات*، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987.
- رشيد يحيوي، *الشعري والثري: مدخل لأنواعية الشعر*، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 1991.
- رشيد يحيوي، *الشعر العربي الحديث: دراسة في المنجز النصي*، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 1998.

المراجع الأجنبية:

- Genette(Gérard), *Seuils*.
- Camprubi(J. B.), *Les Fonctions du Titre*.
- Riffaterre(Michael), *Sémiotique de la poésie*, traduit de l'anglais par Jean Jacques Homos, Edition Du Seuil, , Paris, 1983.
- De Saussure (Ferdinand), *Cours de Linguistique Générale*, Paris, Payot, 1973.
- عبدالرحمن منيف، *الباب المفتوح*، بيروت، دار الساق.
- عبدالله محمد الغدامي: *تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة*، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1987.
- عثمان بدري، *وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ*، دراسة تطبيقية، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، (د،ط)، 2000.
- محمد فكري الجزار، *العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.

الدوريات

- جميل حمداوي، «السيميوطيقا و العنونة»، مجلة *عالم الفكر*، الكويت.
- عبدالرحمن طنكول، «خطاب الكتابة وكتابة الخطاب»، مجلة *كلية الآداب والعلوم الإنسانية*، عدد 9، 1987.
- الهادي المطوي، «شعرية عنوان الساق على الساق فيما هو الفرياق»، مجلة *عالم الفكر*، مجلد 28، عدد 1، 1999.
- محمد مفتاح، *دينامية النص، تنظيم وإنجاز*، المركز الثقافي العربي، بيروت/لبنان، ط2، 1990.
- ميشال بوتور، *بحوث في الرواية الجديدة*، ترجمة فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت/باريس، ط3، 1986.
- نبيل منصر، *الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة*، دار توبقال للنشر، دار توبقال، 1990.
- معجب العدوان، *تشكيل المكان وظلال العتبات*، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1423هـ، 2007.



